

الملاحظات

من الألواح الهامة التي نزلت في أدرنة "سورة الغصن". نزلت باللغة العربية بحق ميرزا علي رضا المستوفي، من أهالي خراسان. كان هذا المؤمن يحمل لقب "مستشار الدولة". شغل منصباً مرموقاً في الدوائر الحكومية في إقليم خراسان حيث تمتع بنفوذ عظيم هناك. ولم يكن مبلغه سوى الملا حسين⁽¹⁾ الذي بلغه أمر الله في مشهد.

أصبح ميرزا علي رضا في عداد المؤمنين المخلصين، ورغم مكانته ورتبته لم يكن ليتردد أبداً في مساعدة الأحياء متى ألمت بهم المصاعب، لم يفتأ يعين الفقراء والمستضعفين المقهورين منهم. وكان هو المصدر الرئيس المجهز للخيل والمال للملا حسين وأصحابه عندما غادروا مشهد صوب مازندران في مهمة عظمى.⁽²⁾ نجح بمعونة الملا صادق الخراساني، المبلغ الشهير لأمر الله، بتبليغ أخ له يصغره سنًا وهو ميرزا محمد رضا، مؤتمن السلطنة، الذي أصبح مؤمناً مخلصاً. عندما تقاعد ميرزا علي رضا، خلفه هذا الأخ في منصبه. مما يثير الاهتمام أن حضرة بهاء الله يعلق في أحد الألواح على صورة شمسية لمؤتمن السلطنة، متفضلاً بأن فيها شبهاً عجيباً بنفسه.

(1) أول حواربي حضرة الباب.

(2) راجع "مطالع الأنوار".

الموضوع الرئيس في "سورة الغصن" هو الكشف عن مقام حضرة عبدالبهاء. يشير فيها لحضرتة بعبارات مثل "وديعة الله"، "هذا الهيكل المقدس الأبهي"، "غصن القدس"، "غصن الأمر"، "الصنع المتعالي المبارك العزيز المنيع"، "الفضل الأعظم"، "نعمته الأتم". هذا ويضيف حضرة بهاء الله البيان الهام التالي في حق حضرة عبدالبهاء:

"هنيئًا لمن استظلّ في ظله وكان من الراقدين... إن الذين هم منعوا أنفسهم عن ظل الغصن أولئك تاهوا في العراء... وكانوا من الهالكين."⁽³⁾

إن هذه الأوصاف العليا التي تحكي عن مقام المولى قد مهّدت لتعيينه فيما بعد بعكاء مركزًا لعهد حضرة بهاء الله ومبيّنًا لكلماته كما ورد في نص "الكتاب الأقدس" و"كتاب عهدي". أمّا ثناء حضرة عبدالبهاء وتمجيده على هذا النحو فلم يكن مفاجأة لأي من أتباع حضرة بهاء الله. بل حتى أعداء حضرتة اعترفوا بعظمة حضرة عبدالبهاء وعلو خلقه. مثال ذلك هو أن ميرزا أحمد الكرمانى، أحد أعداء أمر الله الألداء الذي وصمه حضرة بهاء الله بـ "نذير الشر"، وأشار لمنكراته في "الكتاب الأقدس"، كان مرة

(3) ترجم جزء من هذا اللوح ونشر بالإنجليزية ضمن كتاب "نظام بهاء الله العالمي"، الصفحة 135. انظر أيضًا "ظهور حضرة بهاء الله"، المجلد الأول، الصفحتين 141-142.

قد أعلن من فوق المنبر بأنه لو كان لحضرة بهاء الله حجة أو برهان واحد يمكنه أن يستدلّ به على صحة دعواه، فذلك هو أنه أنجب ابناً كعباس أفندي.⁽⁴⁾

فمنذ طفولته أظهر حضرة عبدالبهاء مزايا بارزة من الإيمان والفضيلة. لم يتعلم في المدارس إلا لفترة قصيرة في طهران. وفي التاسعة من عمره، إضافة لعرفان مقام والده والاعتراف به،⁽⁵⁾ فقد أبدى من سعة المعرفة وعمق الفهم ما فاق به العلماء والفقهاء. ففي بغداد، ولمّا يزال في أوائل سني شبابه، كان حضرة عبدالبهاء يجالس الفقهاء المحبّين. كانوا دومًا يستمتعون برفقته وينصتون له إذا تكلم. حدث أن ذكر أحد منهم في أثناء النقاش كلمة وردت في إحدى مؤلفات الحاج ميرزا كريم خان⁽⁶⁾ باعتبارها عربية، في حين هي فارسية. أجمع رأي الفقهاء بأن ذلك كان خطأ من جانبه. لكن حضرة عبدالبهاء علّق مبيّنًا بأن الحاج ميرزا كريم خان، رغم كونه عدوًّا لدين حضرة الباب، إلا أنه ينبغي له -أي لحضرة عبدالبهاء- الإنصاف في القول بأن الحاج لم يكن مخطئًا في هذه الحالة بالذات. لم يقتنع العلماء بذلك وأصرّوا على رأيهم حتى عرض حضرة عبدالبهاء عليهم أن يرجعوا إلى المعجم وسرعان ما اكتشفوا، لشدة عجبهم، بأنها كانت فعلاً كلمة عربية.

(4) حضرة عبدالبهاء.

(5) انظر الصفحة 14.

(6) انظر المجلد الأول، الملحق رقم 4.

وفي بغداد كان أن التمس علي شوكت باشا، أحد أعيان العراق، من حضرة بهاء الله أن يفسر له المعاني والمفاهيم الباطنية لحديث إسلامي يلقي الضوء على علاقة الله والإنسان وكشف الغاية من الخليقة. في الحديث المذكور ينطق الحق بضمير المتكلم مباشرة ويقول: "كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف".

أوعز حضرة بهاء الله إلى حضرة عبدالبهاء، الذي كان في سن المراهقة، بكتابة تفسير لهذا الحديث. فكتب تعليقاً مطوّلاً بالغ العمق انبهر له الباشا وفتح لبصيرته آفاقاً واسعة من المعرفة والإدراك. على أثر ذلك أصبح الباشا من المعجبين المتحمسين للمولى. لم يقتصر الأمر على إعجاب علي شوكت باشا العميق بتفسير حضرة عبدالبهاء، بل تعدّاه بشكل عام إلى كلّ شخص قدّر له الإطلاع على ذلك الشرح المستنير واستحوذ عليه الإعجاب والتأثر العميق وصار واعياً بمدى علم حضرة عبدالبهاء وحكمته غير العادية. في ردّه على شخص أراد البراهين على أحقية دعوة حضرة بهاء الله، قال ذات مرة الحاج السيد جواد الكربلائي الشهير، الذي أشرنا إليه سابقاً، بأن علامة واحدة لصدق دعوته وصحة أمره، والتي لا مزية فيها، هي أن ابنه حضرة عبدالبهاء، كان قد ألف، وهو ما يزال في سن المراهقة، بحثاً رائعاً كهذا يلقي كثيراً من الضوء على الموضوع.

من بين الكثير من الشخصيات المرموقة الذين انجذبوا بصفة خاصة لحضرة عبدالبهاء واعترفوا بعظمته كان خورشيد باشا، حاكم أدرنة. كتب حضرة شوقي أفندي الآتي:

وهو (حضرة عبدالبهاء) الذي أثارت أحاديثه ومناقشاته مع علماء بغداد في بادئ الأمر الإعجاب الكامل بشخصه وبعلمه بصورة أخذت تزداد كلما اتسعت دائرة أصدقائه ومحبيه فيما بعد في أدرنة ثم في عكاء. وهو الذي تأثر به خورشيد باشا المهذب، حاكم أدرنة، لدرجة أنه أفاض في مدحه والثناء عليه حين كان حضرة عبدالبهاء ضيفاً عليه مع عدد من علماء تلك المدينة البارزين فنفذ بصورة مختصرة مدهشة إلى بواطن مشكلة حيرت عقول العلماء الحاضرين، الأمر الذي أثار في الباشا تأثيراً جعله بعد ذلك لا يطيق صبراً على غياب ذلك الفتى عن أمثال تلك المجالس.

لقد تحمّل حضرة عبدالبهاء أعباء مسؤوليات عديدة منذ طفولته. كان ابن عشر سنوات عندما اعتكف والده في جبال السلمانية. خلال سنتي غياب حضرة بهاءالله أخذ على عاتقه، في هذا العمر الغضّ ورغم مرارة عذاب فراق والده، عبء إدارة شؤون العائلة. في وقت لاحق ذكر للنبي (الأعظم) بأنه أحسّ وقتها بالشيخوخة ولما

يزال في طفولته. وقد تحمّل نصيبه من العذاب والحرمان الذي أنزل على والده خلال أربعين سنة من ولايته، وزيادة على ذلك عبر سنوات ولايته هو.

يمكن استجلاء إحدى نواحي حياة حضرة عبدالبهاء بوضوح من خلال بياناته التي أدلى بها حول صحته. مثلاً بُعيد حلوله بباريس عام ١٩١٣م عندما مرض، تحدّث إلى أصحابه عن ذلك. أكد بأن حياته لم تكن رهن سنن الطبيعة، بل تحت مشيئة العناية الإلهية. صرّح بأن وراء مرضه بباريس حكمة. فلولا مرضه لما كان ينوي البقاء فيها أكثر من شهر واحد. لكنه بسبب المرض تعيّن عليه البقاء قرابة أربعة شهور. عندما نستطلع أنشطته في باريس ندرك أن خلال مدة إقامته هذه سنحت الفرصة له بملاقة عدة شخصيات بارزة ورجال سياسة من الشرق ممن سمعوا عنه وقصدوا زيارته للتعرف عليه، لمسوا قبساً من نورانيته الروحية وخشعوا أمام قوة كلماته وسحر خلقه. من بين أولئك كان الأمير المتغطرس مسعود ميرزا، ظل السلطان، الابن الأكبر لناصر الدين شاه، وحاكم إصفهان سابقاً الذي تمّ في عهده الحكم بإعدام الأخوين اللامعين "سلطان الشهداء" و"محبوب الشهداء".

في حديثه عن مرضه، أخبر حضرة عبدالبهاء أصحابه في باريس أن حياته لم تكن تحت سيطرة قوانين الطبيعة. وأن المرض الذي ألمّ به لم يكن بالأسباب الطبيعية، بل بإرادة الله. روى قصة مرضه عندما كان في السابعة من العمر، وأصيب بالتدرّن (السل)

واعتُبرت حالته ميؤوساً منها. لكن يد الله كانت وراء ذلك المرض. فيما بعد تجلّت الحكمة منه. فلو كان سليماً، لأُرسل ليعيش في موطن أسلاف حضرة بهاء الله في مازندران، بينما بسبب مرضه تعيّن عليه البقاء في طهران إلى وقت سجن حضرة بهاء الله، فيشهد مولد بعثته السماوية، وأخيراً يرحل برفقته إلى بغداد. ثم فجأة وخلافاً لرأي الأطباء وتوقعهم، إذ أجمعوا على أن لا شفاء لحالته، استعاد كامل صحته.

إن العلاقة بين حضرة بهاء الله وحضرة عبدالبهاء تشكّل إحدى أكثر معالم حياتهما سحراً. فقد عرف حضرة عبدالبهاء مقام والده بكيفية تامة بحيث أبدى له طوال حياته منتهى التواضع والتوقير. حرص كلّ الحرص على ألاّ يدع مطلقاً علاقة الأبوة والبنوة العائلية أن يكون لها أيّ تأثير في موقفه واعتباره. ما من أحد في هذه الدورة قد كان له من الأهلية والبصيرة لعرفان المقام الحقيقي لمولاه كما كان لحضرة عبدالبهاء، ولهذا السبب استطاع أن يُظهر الدرجة القصوى من نكران الذات تجاه حضرة بهاء الله وأن يعتبر نفسه عدماً صرفاً بالنسبة لحضرته.

لنضرب مثلاً واحداً على ذلك: كلّمنا قصد حضرة عبدالبهاء زيارة محضر والده في قصر البهجة خارج عكاء، اعتاد الذهاب راكباً على حمار. لكنه حالما يرى القصر عن بُعد، كان يرتجل تعبيراً عن تواضعه واحترامه. ذلك لأنه كان يجسد العبودية الحقّة لحضرة بهاء الله، والعبد لا يُقبل على مولاه راكباً. لم يبد التواضع فقط لحضرة

بهاء الله، بل علم أصحاب حضرة بهاء الله وتلاميذه بمثاله دروساً في نكران الذات والعبودية لدى عتبة والده. عند وصول الزوار كان حضرة عبدالبهاء هو الذي يهيأهم من كل ناحية لتلك اللحظة المجيدة حينما يدخلون إلى محضر مولاهم. بل كان يرتب حتى ألبستهم ويساعدهم على أن يتحلوا بنكران الذات في محضره.

من الناحية الأخرى، أغدق حضرة بهاء الله دوماً محبته وعنايته الخاصة على حضرة عبدالبهاء. فبالإضافة لإطرائه وتمجيده لشخص حضرة عبدالبهاء، منحه ألقاباً سامية علياً. في الحقيقة لم يعرف وله حضرة بهاء الله لحضرة عبدالبهاء حدوداً. مثلاً كان حضرة بهاء الله يبدي ابتهاجاً وشوقاً ترقباً لاستقبال ابنه المحبوب كلما قدم الأخير لزيارة محضره المبارك في قصر البهجة. كان حضرته غالباً ما يرسل أبناءه -إخوة حضرة عبدالبهاء- الآخرين والذكور من أفراد العائلة لاستقباله على بعد مسافة من القصر، كحاشية استقبال انتظاراً لقدمه ولمرافقته إلى القصر، بينما أحياناً كان حضرة بهاء الله نفسه يقف في شرفة القصر ليشاهد مجيئه، وما أكثر المناسبات التي كان حضرته يشير إلى جلال حضرة عبدالبهاء وهو يمشي ويطري على جمال طلعتة ومثانة شخصيته. لكن وا أسفًا! فقد اضطر حضرة بهاء الله أحياناً لأن يكبت حبه وشوقه في الظاهر للمولى وذلك لكي لا يغضب إخوته وبقية أفراد عائلته الخالين من الصفات الروحانية من خلال حسدهم وغيرتهم.

تميزت حياة حضرة عبدالبهاء بفضائله وكمالاته. لا حاجة للولوج في تفاصيل هذه الناحية المعترف بها عالمياً. فقد أثنى عليه العديد من الكتّاب، من الشرق والغرب، بعبارات براقة، وأشادوا بنبل خلقه وشهدوا بصفاته الملكوتية. استنارت روحه بضياء ظهور حضرة بهاءالله، ذلك الظهور الذي تلقاه من والده نيابة عن البشرية، بحيث أصبح مرآة كاملة تنعكس فيها أنوار دين والده على كافة البشر وتبدي لناظرهم الخصال اللامعة للبهائي الكامل.

إنها لإحدى عطايا الله الفريدة أن تلطف حضرة بهاءالله على الإنسانية ليس فقط بظهوره في هذا العصر بل بهبة لا تثنى في شخص حضرة عبدالبهاء الذي يشغل مقاماً فريداً في هذه الدورة. في حين لم يقلد مقام مظهر إلهي لكن حضرة بهاءالله قد أسبغ عليه من علو السلطة ما يجعل لكلماته شرعية مماثلة لتلك المنسوبة لكل من حضرة بهاءالله وحضرة الباب.

وبعد صعود حضرة بهاءالله عن هذا العالم بقليل اختلف المؤمنون بشأن مقام حضرة عبدالبهاء. فاعتبره بعضهم شريكاً لحضرة بهاءالله في هويته -وهو اعتقاد يناقض الحقائق الأساسية التي يقوم عليها أمر الله. لقد أوضح حضرة عبدالبهاء مقامه في عدة ألواح. شرح ذلك مبيناً بأنه مع كونه مركز ميثاق حضرة بهاءالله المعين ومفسر كلماته، إلا أنه يرى نفسه خادماً ذليلاً لدى عتبة حضرة بهاءالله. فيما يلي بيان من أحد ألواحه:

"هذا يقيني وجوهر عقيدتي الواضح المبين، وهي العقيدة واليقين الذي يشترك فيه أهل الملكوت الأبهى، أن حضرة الجمال المبارك هو شمس الحقيقة، ونوره نور الحقيقة، وأن حضرة الباب هو أيضاً شمس الحقيقة، ونوره نور الحقيقة... إن مقامي هو مقام العبودية التامة، العبودية البحتة، العبودية الثابتة المستمرة الظاهرة، العبودية المنزلة التي لا تقبل التأويل بأي وجه... أنا المبين لكلمات الله وهذا بياني."

كتب الحاج ميرزا حيدر علي مرة، وهو الذي أشرنا إليه سابقاً، رسالة سأل فيها حضرة عبدالبهاء تفسير مغزى بيانات حضرة بهاءالله في "سورة الغصن" وألواح أخرى بضمنها بعض أبيات من قصيدة "المثنوي" بخصوص المقام السامي للغصن. أجابه حضرة عبدالبهاء بلوح أعلن فيه بمنتهى البلاغة مقام عبوديته سائلاً الله بأن يغرقه في بحر العبودية. بعد ذلك صرح بهذا البيان:

"إنه بمقتضى الكتاب الأقدس وكتاب العهد فأنا المبين لكلمات الله... من حاد عن هذا التفسير فإنه يكون فريسة وهمه... إني أؤكد أن المعنى الحقيقي والمضمون الصحيح والسر المستتر لهذه الآيات والكلمات⁽⁷⁾ هو عبوديتي للعبات

(7) الآيات النازلة في "سورة الغصن" و"المثنوي" التي تمجد مقام حضرة عبدالبهاء. (أ. ط.)

المقدسة للجمال الأبهى، وفنائي التام وعدمى البحث. هذا هو تاجي اللامع
وطرازي الثمين، وبهذا أفتخر في ملكوت الأرض والسماء، وبه أفتخر في محفل
الأصفياء."

كتب حضرة شوقي أفندي بشأن مقام المولى ما يلي:

"... ومع أنه يشغل محيطًا خاصًا به، ويتبوأً مقامًا يختلف أساسًا عن المقام الذي
تبوأه مظهر الدين البهائي ومبشره، فإنه بقوة الميثاق الذي أعطي له من لدن بهاء الله
يُكوّن معهما ظلًّا ذي ثلاث شُعبٍ لهذا الدين، يمتد بما لا شبيه له في تاريخ
العالم الروحي. وهو، بالاتحاد معهما، يهيمن على مصير هذا الدين الإلهي الناشئ
لدورة لا تقل عن ألف سنة."

"إنه كما يجب أن يظل دائمًا، ويعتبر أولاً وقبل كل شيء، مركز وقطب عهد بهاء الله
المحيط الذي لا شبيه له، ومحور ميثاقه الأمتع، ومرآة نوره اللامعة، والمثل
الكامل لتعاليمه، والمبين المعصوم، ورمز كل فكرة بهائية، ومظهر كل فضيلة
بهائية، وهو الغصن الأعظم المنشعب من الأصل القديم، وعماد شريعة الله،
والكائن الذي (تطوف حوله كل الأسماء) ومصدر الوحدة الإنسانية، ورمز السلام
الأعظم، وقمر مركز دوحة هذا الدور الأقدس، وغير ذلك من النعوت والأوصاف

التي تثبت مبانيتها، وتتحقق معانيها، وتعلو آثارها، وتتمثل بأجلى مظاهرها في هذا الاسم العظيم -عبدالبهاء- وهو فوق كل هذه النعوت (سرّ الله) وهو النعت الذي اختاره بهاء الله لقباً له، وبينما هذا النعت لا يجعلنا بأي حال نعزو إليه مقام النبوة، فإنه يحمل في ذاته حقيقة هي -كيف أن التناقض الكائن بين خصائص الطبيعة البشرية وبين مميزات المثل الأعلى للإنسان في الفضل والكمال قد اتحد وبلغ كمال الاتفاق في شخص عبدالبهاء."

كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ٢